فرقة مسرح الحكواتي تؤسس مسرحا جديدا

مسرحية "بالعبر و الابر" معول بدأ بتهديم المسرح السائد

روجيه عساف : أحلم بمئات الفرق الهاوية تبدع مسرحا يتفاعل مع الجمهور ويمتعه ويتحرر من المسرح الحاضر

بقلم : أحمد مراد

منذ ثلاثة اسابيع ، التقيت عشرة اشخاص في الطابق الثاني من المبنى الذي يشغله بأكمله المجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية .

الاشخاص العشرة عندما يجتمعون ترى امامك « فرقة مسرح الحكواتي » : سبب الاجتماع كان لاجراء هذه المقابلة ، ومكانها كان هناك ، لان الفرقة « جوالة » وفقيرة ، لا تمتلك مركزا لها على امتداد جغرافيا بيروت ، المدينة التي صارت تتحدد باثنين : موقع القذيفة ، وموقع « المركز » .

المسرحية التي ترتبط باسم فرقة مسرح الحكواتي هي « بالعبر والابر - حكاية ابو كامل » .

ماذا تشكل هذه المسرحية ، من هي هذه الفرقة التي اطلت علينا من وعر الحرب ، اي مسرح تريد ان تبنيه ، كيف تمارس عملية الخلق المسرحي الجماعي ، ما هو دور روجيه عساف بكل هذا ؟

بالنسبة لي ، كصحافي ، كانت هذه المرة الاولى التي اجري فيها مقابلة مع عشرة اشخاص دفعة واحدة . الجميع يعي ما يفعل ، وتتلمس سريعا ان هناك شبه اجماع ، بين العشرة ، على تقويم تجربتهم وحدودها وابعادها . كيف يمكن للحديث ان يغوص اذن ؟ كيف تستطيع انتزاع اجابات غير متشابهة ، وغير عامة ، وغير متكررة ؟

حاولت ، بالاسئلة ، ان ابحث عن مسافة ما ، عن تناقض او تمايز يسكن بين روجيه عساف وبين معظم الاخرين ، فقد كنت اكيدا من وجوده لان عساف يأتيك من خلف ١٥ سنة من العمل المسرحي في لبنان ، وبعضهم يباشر الان في بناء علاقته بالمسرح .

بذلت جهدي بذلك ، وعثرت على شيء ما ، لكن الاهم بين ما استطعت استخلاصه هو ادب عساف على « التمترس » بالفرقة ككل ... دأبه على اظهار عدم التمايز في ما بين جميع افراد الفرقة ، وصولا الى تأكيد جماعية العمل في كل عملية « المسرحة » : من كتابة النص الى السيناريو الى الاخراج الى التقنيات الى العلاقة الفاعلة مع الجمهور ، الى الحديث مع .. الصحافة . وهو يقطع رأيه اذ لا يفتأ يكرر عليك : « يوما بعد يوم ، اتلمس سخافة « التفنكات التقنية » التي تعلمتها خلال دراستي للمسرح في اوروبا (...) نحن بصدد اكتشاف تقنيات جديدة حتى ... » ...

دأب عساف على اخفاء التمايز ، وعلى اظهار الروح الجماعية في العمل التي تتبدى من خلال

كسر الشكلية المسرحية

سؤال الى بطرس روحانا : هل توافق على كلام عبيدو باشا بأن « بالعبر والابر » كسرت الشكلية المسرحية ، واذا كان بالايجاب فأين وكيف ؟

احمد الزعزع : لقد عملت مع روجيه عساف سنة ١٩٧٤ وقدمنا عدة عروض في المخيمات الفلسطينية وشاركت ، متفرجا ، في المسرحية التي عرضت في عيناتا ، او تجربة عيناتا ، سنة ١٩٧٥ ، واعتبر ان العمل الذي قدم في عيناتا جاء تتويجا للتمايز الذي بدا يحققه روجيه عساف في اعماله بدءا من ١٩٧٣ .

سؤال - كيف تم كسر الشكل المسرحي في « بالعبر والابر » ؟

عبيدو باشا - اعتقد ان ذلك تم على عدة مستويات ، تبدأ من الامكنة التي اختيرت لعرض المسرحية ، الى مشاركة الممثلين بكتابة النص ، ثم مشاركتهم بالاخراج .

سؤال - قبل هذه التجربة لم يسبق ان تدخل احد بالنص ؟

محمد كلش - سواء مع روجيه او مع غيره ، وفي كل الفرق المسرحية التي تعمل في لبنان ، لم يسبق ان تدخل الممثلون في النص كما نفعل اليوم .

روجيه عساف - (يدخل موضحا) : قبل ذلك كان هناك كاتب واحد للنص ، انما الفرقة كانت تتدخل بحدود لتحويل النص نسبيا . وهذه المرة هي الاولى التي تكتب فيها الفرقة النص .

الكتابة الجماعية للنص المسرحي

سؤال - هل يمكن اخبارنا بالتفصيل كيف تمت كتابة نص « بالعبر والابر » ؟

شارك الجميع تقريبا في تقديم الجواب التالي : كتابة النص اخذت وقتا طويلا نسبيا . لقد دار نقاش في البدء ، قبل الشروع في الكتابة ، تم خلاله وضع تصميم عام والخطوط الاساسية . ثم بدأنا بتنفيذ عملية الكتابة .

عقدنا جلسات جماعية ، نكون كلنا حاضرين خلالها ، والكل يشارك في وضع حوار واحد .. او ان احدنا يطرح فكرة ، فيرد الثاني عليه ناقدا او موضحا او بفكرة اخرى .. ثم نعقد جلسات نناقش فيها حصيلة ما كتبناه ، فنحذف ونعدل .. واحيانا نضطر ، نتيجة لجلسات تقييم النص الى حذفه كليا والبدء بعملية الكتابة من جديد مرة ثانية وثالثة ورابعة .

احيانا نتفق جميعا على مشهد معين ، واذ بأحدنا يطلع علينا في جلسة لاحقة بمشهد مغاير ، قد يكون افضل ، فنناقش الامر ونعدل النص الاساسي اذا ما اتفقنا على ذلك ..

ونظرا لعدم امتلاك اي منا لتجربة في الكتابة المسرحية ، فأحيانا يتقدم احدنا باشياء سخيفة فعلا ، لكن طريقتنا في العمل ، اشعرتنا اننا بصدد الدخول في اتون من التجانس لم نكن نمتلكه سابقا . نحن لا نستطيع القول ان النص متجانس ادبيا ، لكننا نقول ونؤكد انه متجانس مسرحيا .

اخراج ديمقراطي !

سؤال - اريد ان اسأل كل الموجودين صراحة ، ما عدا روجيه عساف ، اذا ما كانت عملية الاخراج قد تمت بنفس الديمقراطية والثوري التي تمت فيها عملية الكتابة ؟

رولا يحيى - اجزم اننا لم نستشعر اي منحى قمعيا ، حاول روجيه ان يمارسه علينا في الاخراج، واؤكد ان علاقات ديمقراطية سادت كل مراحل انتاج المسرحية . وتدخل روجيه عساف كان يحصل ضمن حدود المعقول .

بطرس روحانا - على صعيد الكتابة ، لم يكن

ممارسة ديمقراطية قصوى تطبع علاقات الفرقة ، ودأبت على العكس ، ليس للانتقاص من القيمة الفنية للاشخاص التسعة الباقين ، ولا لاصراري على تقليد صدر روجيه عساف بوسام لا املك اصلا ان اقلده ، كما يفعل معظم النقد او التقييم المجاني . لقد حاولت ذلك لأرى اذا كانت الفرقة ككل تعي الخطورة القصوى التي يشكلها عساف بالنسبة للمسرح اللبناني .. على الاقل ! !

مطهر « التأسيس »

هذا الرجل خطير حقا ، ويقبض جيدا على معول مسنون الاطراف يهوي بضربات حادة على المؤسسة المسرحية الموجودة في لبنان .

انه بصدد تهديم المسرح الكلاسيكي السائد ، والمستورد اصلا من النمط المسرحي البرجوازي الاوروبي ، لتأسيس مسرح شعبي قد يتخطى المسرح « البريشتي » في اقامة علاقة فاعلة مع الجمهور ، وفي التقاط الحس الشعبي ، الروح الشعبية ، ثم العمل عليها واخراجها مسرحيات تفعل فعلها مجددا في اطلاق الطاقات الانسانية من خلال عملية الامتاع الفنية . (ساعود الى ذلك لاحقا) .

الفرقة :

لنقدم الان تعريفا سريعا للفرقة ، وللمسرحية التي اعلنت بها ولادتها : مسرحية « بالعبر والابر - حكاية ابو كامل » .

- تفضلوا شباب :

- ١ - نقولا دانيال : استاذ في معهد الفنون يدرس (التعبير الجسماني) .

٢ - عادل شاهين : استاذ في معهد الفنون ، يدرس (تمارين تمثيلية) .

٣ - روجيه عساف : استاذ في معهد الفنون . مدير قسم التمثيل في معهد الفنون - الجامعة اللبنانية .

٤ - رولا يحيي : طالبة في السنة التحضيرية (تمثيل) .

احدنا محترف كتابة ويمتلك الرأي الحاسم في الموضوع ، لكن بالنسبة للتنفيذ ، فان روجيه يحمل كما قلت اكثر من ١٥ سنة من التجربة ، لكنه لم يأتنا مرة واحدة وفي رأسه شكل جاهز يحاول ان يفرضه علينا او ان « يقنعنا » به . اصلا وفي البدء ، في عملية الكتابة ، كان يدور في رؤوسنا شكل ما .. وهذا ما كان يسهل علينا الاتفاق الجماعي على تنفيذ الافكار التي ولدت جماعيا . ما ينقصنا فعلا هو امتلاك التقنية المسرحية . وروجيه كان يمتلك هذه الناحية اكثر منا ، وفي احيان كثيرة ابدعنا نحن كمخرجين ، لكن في احيان اخرى لم نلعب اكثر من دور مراقبين .

من الصعب ان نقول ان كل شيء يتم فعليا بشكل جماعي مئة بالمئة ، لكن ما كرسناه في علاقاتنا الداخلية في العمل ، هو الروح ، روح العمل الجماعي .

روجيه عساف - احب ان اوضح الامر قليلا : فأنا منذ الان احس وأشعر بالفروق بين اخراج مسرحية « بالعبر والابر » واخراج مسرحيتنا المقبلة . وأعتقد انه في المسرحية الثانية سيكتشف اعضاء الفرقة اشياء اكثر . لكن المشكلة انهم بحاجة لان يثقوا اكثر بانفسهم .. لانهم يجهلون ما معنى الاخراج ، وهم يتصورون ان الاخراج مسألة صعبة ومعقدة ، تتطلب خبرا واختصاصا لذلك فأنهم لا يتجرأوا كثيرا ، وخاصة عندما اكون موجودا ، ان يمارسوا عملهم كمخرجين ، لكنني ألمس مع ذلك ايجابية هذه الطريقة في العمل ، فكثيرا ما يولد المشهد تلقائيا من خلال تعليق عضو او لمسة سريعة لعضو اخر في الفرقة .

الممثلون في الفرقة ، خلال التمرين يجدون اخراجا للمشهد ، فأوافق عليه ، او اقترح تعديله ،وأحيانا يوافقون على تعديلي واحيانا اخرى يعدلوه .. وقد مرت اوقات لا تقترح الفرقة شيئا .. تتوقف اقتراحات اعضائها ، فأتدخل شخصيا ، وانا سعيد ما تثيره الفروق بين المشاهد التي اخرجها وبين تلك التي تخرجها الفرقة ككل . وفي الحالتين ، كان الاقتراح يناقش ويعلل قبل التنفيذ .

وهناك مشاهد لعبناها وكنا كلنا شاعرين بأنها غير جيدة ، فلا العمل الجماعي ، ولا خبرتي القديمة اوصلتنا بشيء جيد ، لكني سعيد ايضا لان طريقتنا في العمل ستوصلنا الى تفاعل والى نتائج ارقى .

الابداع الفردي والابداع الجماعي

س - لنلتقط انفاسنا ، ونحاول اعادة تركيب القصة قليلا .. قلنا ان الهدف من حوارنا هذا هو محاولتي لتلمس طبيعة العلاقات الداخلية في ما بين اعضاء

٥ - جنى الحسن : طالبة في السنة الثالثة - الاخيرة - ، (تمثيل) .

٦ - احمد الزعزع :طالب في السنة الثالثة - الاخيرة ، (تمثيل) .

٧ - بطرس روحانا : طالب في السنة الثالثة - الاخيرة ، (تمثيل) .

٨ - رافع عبد الخالق : طالب في السنة الثانية (تمثيل) .

٩ - محمد كلش : طالب في السنة الاولى .

١٠ - عبيدو باشا : طالب في السنة الاولى .

المسرحية :

« بالعبر والابر » تحكي حكاية النزوح الضاري من الريف اللبناني الى بيروت ، الريف سحق اقتصادي ، وتعريض دائم للكرامة للضرب والاهانة والمعس ، وهو كذلك عطالة ، وتعرض للدمار والموت تخلفه طلعات طائرات العدو او قصفها المرعب شبه اليومي ، وبيروت مدينة كبيرة تصون الكرامة، وتقدم فرصا للعمل وتحمي من الغارات المفاجئة . لكن بيروت تتكشف حقيقتها على غير ما كان يظن . لقد كان على النازحين ان « يضبضبوا » في حقائبهم كل المهانات ، وكان عليهم تحمل مهانات جديدة لم يعتادوها في الريف ، انهم يتكدسون في احياء « شعبية » ، الحياة فيها ضاغطة ، بل فظيعة ومقرفة ولا تطاق ، فيحدث « التمرد » ، ضد اصحاب المصالح المسيطرون ، تمرد لا تستطيع كلاب الحراسة تجميعه فبات يشكل خطرا . لكن منعا لتفاقمه يستعين